الكتاب: الغيبة
المؤلف: الشيخ محمد رضا الجعفري
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٠
المطبعة:
الناشر: مركز الأبحاث العقائدية - قم - ايران
ردمك: ٩٦٤-٣١٩-٢٣١-٨
ملاحظات:

سلسلة الندوات العقائدية
(٣٦)
الغيبة
تأليف:
الشيخ محمد رضا الجعفري
" مركز الأبحاث العقائدية "

مركز الأبحاث العقائدية
إيران - قم - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤
ص. ب: ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
هاتف: ٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) ٩٨ +
فاكس: ٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) ٩٨ +
الغيبة
الشيخ محمد رضا الجعفري
الطبعة الأولى - سنة ١٤٢٠ ه -
* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

بسم الله الر الرحمن
الرحيم
مقدمة المركز:
لا يخفى أننا لا زلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو الفهم الصحيح والافهام المناسب لعقائدنا الحقة ومفاهيمنا الرفيعة، مما يستدعي الالتزام الجاد بالبرامج والمناهج العلمية التي توجد حالة من المفاعلة الدائمة بين الأمة وقيمها الحقة، بشكل يتناسب مع لغة العصر والتطور التقني الحديث.
وانطلاقا من ذلك، فقد بادر مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني – مد ظله – إلى اتخاذ منهج ينتظم على عدة محاور بهدف طرح الفكر الإسلامي الشيعي على أوسع نطاق ممكن
ومن هذه المحاور: عقد الندوات العقائدية المختصة، باستضافة نخبة من أساتذة الحوزة العلمية ومفكريها المرموقين، التي تقوم نوعا على الموضوعات الهامة، حيث يجري تناولها بالعرض والنقد والتحليل وطرح الرأي الشيعي المختار فيها، ثم يخضع ذلك الموضوع

- بطبيعة الحال - للحوار المفتوح والمناقشات الحرة لغرض الحصول على أفضل النتائج.
ولأجل تعميم الفائدة فقد أخذت هذه الندوات طريقها إلى شبكة الانترنت العالمية صوتا وكتابة.
كما يجري تكثيرها عبر التسجيل الصوتي والمرئي وتوزيعها على المراكز والمؤسسات العلمية والشخصيات الثقافية في شتى أرجاء العالم.
وأخيرا، فإن الخطوة الثالثة تكمن في طبعها ونشرها على شكل كراريس تحت عنوان " سلسلة الندوات العقائدية " بعد إجراء مجموعة من الخطوات التحقيقية والفنية اللازمة عليها.
وهذا الكراس الماثل بين يدي القارئ الكريم واحد من السلسلة المشار إليها.
سائلينه سبحانه وتعالى أن يناله بأحسن قبوله.
مركز الأبحاث العقائدية
فارس الحسون

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد رسله وخاتم أنبيائه محمد وآله الطيبين الطاهرين الأئمة الهداة المعصومين، لا سيما أولهم مولانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه، ولعنة الله على أعدائهم والموالين لأعدائهم والمعادين لأوليائهم من الأولين والآخرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والعن من آذى نبيك فيها من الأولين والآخرين.

السلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

يسعدني أن أكون ممن أمكنه الله أن يلبي حاجة في نفوس المعتنقين لولاء أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين، في أمس مسائل العقيدة التي يواجهها إيمانهم، والتي قد يجد أعداؤهم الثغرة للطعن في إيمانهم، وهو ما يرجع إلى مولانا الإمام الحجة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، خاصة يرجع إلى غيبته.

يسعدني أن أكون ممن وفقهم الله تعالى لكي ألبي هذه الحاجة في بحث أطرحه وأؤطره بإطارين:
الإطار الأول: الوقت الذي حدد لي أن يكون البحث يكتمل إلى حد ما، ضمن هذا الوقت.
والثاني: الايجاز الذي تتطلبه مثل هذه البحوث التي تلقى مباشرة على السامعين، فالبحوث إن كانت طويلة وجاءت في كتاب فللقارئ أن يتجاوز صفحات أو أن يغفل صفحات ويكتفي بما يحاول أو يتلذذ بقراءته، وأما السامع المسكين الذي لا يملك إلا أن يعصر أذنيه كي لا يسمع، فهذا من الصعب جدا أن يكون البحث بالنسبة إليه ممتعا، إلا إذا كان إلى حد لا يجد السامع منه مللا ولا يرى فيه نقصا في الأداء أو إيجازا مخلا، فلا تكون الأسئلة التي كانت تدور في ذهنه قد بقي منها ما لم يجد الإجابة عليه فيما سمعه.
ومن الله سبحانه وتعالى ومن وليه وحجة عصره مولانا الإمام المهدي المنتظر – الذي يرانا ولا نراه والذي يعلم بحالنا ولا نعلم بحاله إلا ما أخبرنا الوحي به – أستمد أن يعينني على حسن الأداء وأن يعينكم أو يحقق لكم حسن الاستماع، إنه نعم المولى ونعم النصير.

موضوع البحث

الموضوع الذي طلب مني أن يكون بحثي يدور في فلكه: هو ما يرجع إلى الإمام المهدي سلام الله عليه في غيبته، وما انتهى إليه هذا العنصر الاعتقادي الهام الذي يميز الشيعة في عددهم المبارك، يعني في العدد الاعتقادي للأئمة الذي يعبر عنه بالشيعة الاثني عشرية.

الكلام حول المهدي سلام الله عليه فيما أنا فهرست ووضعت المنهج له، وأنا أقرأ نقاط البحث، فإن وفقني الله سبحانه وتعالى كي أكمل هذه النقاط في جلستنا هذه فنعمت النتيجة للمتكلم والسامع، وإن بقي شئ فأرجو الله سبحانه وتعالى أن لا يكون الفاصل بين هذه الحلقة والحلقة التي تستدعيها فيما بعد، أن لا يكون الفاصل بحيث ينسي الأولى أو لا يمكن المستمع إلى الأخرى من استماعها للفاصل الزمني الطويل.

البحث عن غيبة الإمام المهدي سلام الله عليه يرتبط بالبحث عن إمامته كأحد الأئمة، ولا يمكن أن يستغني عنه الباحث عن إمامة المهدي سلام الله عليه وعن البحث في غيبته، وقبل هذا نقاط أوجزها:

النقطة الأولى:

إن غيبة المهدي سلام الله عليه وظهوره كموت الخليقة وحشرها أمر

قدره الله سبحانه وتعالى – حسب رأينا نحن الإمامية الاثنا عشرية – ولم يستشر فيه أحدا ولم يوكل أمره إلى أحد غيره.
يعني أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الخلق قدر لهم النشأة الأولى هذه، وقدر لهم النشأة الأخرى، شئنا أم أبينا، كنا في رضى من ذلك
أم كرهناه، وذلك لحبنا لهذه العاجلة، أو مع الأسف الشديد لأننا أسأنا العمل فنكره المواجهة مع آثام العمل وآثاره.
إن الله سبحانه وتعالى قدر للخلق أن تكون لهم نشأتان: نشأة في حياتهم الدنيا، ونشأة أخرى في حياتهم الأخرى، وهكذا أيضا قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون عدد أوليائه اثني عشر، لا يزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا، وقدر لهذا الثاني عشر أن يغيب من بيننا وهو حي وأن يظهر في الزمن الذي اختاره الله سبحانه وتعالى بحكمته وقدره بعلمه، شئنا أم أبينا.
وأعني أننا لسنا مختارين، ولم يجعل الله سبحانه خيارا لنا في أن نحيا ونحشر بعد أن نموت، بحيث أننا إذا وجدنا في حياتنا الأخرى تلك منشأ لذة أحببنا الحياة، وإن وجدنا فيها آثاما وسوء نتائج لسوء أعمالنا في هذه الحياة اخترنا أن يكون موتنا موتا دائما.
والذين قرأوا جداول أبي ماضي يعلمون بأن شبهة المعاد عنده أساسها هذه، هذه الشبهة لو أردنا أن ننظر إليها من ناحية تندر وظرف، لا بد وأنكم سمعتم أن هناك من يتندر فيقول: بأن الجوزة إن كان لا بد لها من حامل ولا يكون إلا شجرة باسقة سامقة كبيرة طويلة العمر، فكيف بالبطيخة،
البطيخة لا بد أن تكون شجرتها أكبر من شجرة الجوزة، مع العلم بأن هذا تندر أو تغفل
أو شئ آخر أسوء من هذين، لماذا؟ لأننا واجهنا في الحياة أن الله سبحانه

وتعالى قدر للجوزة أن تكون ثمرة لشجرة باسقة، وأن لا يكون للبطيخ إلا هرش صغير.
فالعالم هو الذي يأخذ الحقائق كما هي ثم يستعين بها في حياته، يعني بحيث أننا لو أردنا أن نستحصل الجوزة علينا أن نهيئ أو نغرس شجرتها وننتظر وقد يكون انتظارنا يستمر سنين إلى أن نحصل على الثمرة، وإذا أردنا أن نحصل على البطيخة، فالبطيخة أهون بكثير في استحصالها من حيث الزمن ومن حيث الغرس ومن حيث العناية بالغرس، وأسهل بكثير من الجوزة وشجرتها.
حقائق الحياة لا نملكها نحن ولا يملكها إلا الله سبحانه وهو الذي قدرها واستمر عليها ويستمر عليها لحكمته، ولن تجد لسنة الله تبديلا.
الإمام المهدي سلام الله عليه قدر الله بحكمته أن يكون آخر الأئمة، وأن يكون مهدي هذه الأمة، وأن يكون هو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، أو بعد ما ملئت ظلما وجورا، ولا فرق بين العبارتين، إلا ما يتخيله الإنسان من أن كاف التشبيه قد تكون أهون من البعدية، ولا فرق بين الاثنين بحسب الواقع، وأنا أشير إلى مناقشات حصلت في الموضوع.
فالإمام المهدي سلام الله عليه إرادة الله في عالم الشريعة، كما أن حشره سبحانه وتعالى لخلقه إرادته في عالم الخليقة والتكوين، لا فرق بين الاثنين، لم يستشر أحدا في الأولى أي في الحشر بعد الموت، ولا يستشير أحدا في الثانية، أي إن الله سبحانه وتعالى هو الذي قد أن يكون لهذه الأمة مهدي يظهر في آخر الزمان، وأن يكون من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ولد أمير
المؤمنين (عليه السلام) والصديقة الكبرى سلام الله عليها، وأن يكون من ولد

الحسين (عليه السلام)، " إن الله تعالى عوض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريته،
والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره... " (١).
وهذه حقيقة هامة يجب أن لا نغفل عنها، وهي أن إيماننا بالمهدي لا يرتبط بأنفسنا من ناحية ذاتية، بحيث أني لو أحببت المهدي أؤمن به، ولو لم أحب لا أؤمن، إيماني بالمهدي خضوع وتسليم لإرادة الله كإيماني بكل ما أراه من سنة الله تبارك وتعالى في هذا الكون وسنته في الخلق، علي أن أنسجم وأن أجعل نفسي وحياتي ملائمة ومنسجمة مع سنة الله، سنن الله سبحانه وتعالى لا تكون بحيث يرضى بها أحد فتكون سنة ويكرهها آخر فلا تكون سنة بالنسبة إليه.
النقطة الثانية:
إنني حينما أتكلم عن المهدي سلام الله عليه أتكلم عن موقع المهدي والمهدوية في عقائدنا نحن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وتفسير هذا أن المهدي سلام الله عليه قد يختلف عن باقي الأئمة، ومنهم أمير المؤمنين سلام الله عليه، فله جانبان: جانب اختصصنا به نحن الإمامية، وجانب ثان اشترك فيه معنا غيرنا من فرق المسلمين، وحتى أمير المؤمنين سلام الله عليه له جانبان، جانب أقر به غيرنا من فرق المسلمين، وخاصة الفرق التي لها جانب رواية للسنة وعناية بالحديث.
فلا أتكلم هنا عن المهدي والمهدوية عند المعتزلة، لأن المعتزلة أطروا

---

(١) الأمالي للطوسي ٣١٧ ج ٦٤٤.

مذهبهم بإطار عقلي لا أقول بأنه صادق كله أو لا، مائل عن الحق أو لا، هذا خارج عن بحثي هنا، أما فرق المسلمين التي جعلت من السنة أساسا لعقائدها فلا تشترك معنا في الإيمان بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكنها تشترك معنا في القول بالمهدي وأنه يخرج في آخر الزمان.

وأنا أملك نصوصا كثيرة تدل بوضوح على أن علماءهم في الحديث والمعنيين بالدراسات الحديثية قالوا بأن أحاديث المهدي متواترة، فقد رواها أكثر من ثلاثين صحابي وصحابية، بل وبعض الحديث الذي جاء عن بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود، السند إلى عبد الله عندهم متواترة لكثرة من يرويه من رواتهم عن عبد الله.

ولكنهم حينما يجمعون أحاديثهم ويفسرون بعضها ببعض قد يكون منهج التفسير عندهم يختلف عن منهج التفسير عندنا نحن الإمامية، وقد تكون النتيجة عندهم تنتهي إلى ما لا تنتهي إليه بحوثنا العقائدية.

مثلا نجدهم يقولون بأن الأصح أن المهدي سلام الله عليه من ولد الحسن (عليه السلام)، وهذا عندنا غير وارد.

أو أن المهدي الذي بشربه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف عرفه؟ يقولون بأنه

جاء في كثير من الأحاديث: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي (١) وبهذا يكون اسم أبيه الكريم عبد الله، لا الإمام الحسن بن علي العسكري سلام الله عليهما.

أو أنه يخرج من أين؟ في بعض رواياتهم - وإن كانت غريبة عندهم

---

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٦ - ١٠٧ ح ٤٢٨٢.

ويستغربونها ويقولون بأنها من غريب الأحاديث – أنه يخرج من المغرب.
أنا حينما أتكلم عن المهدي سلام الله عليه، أتكلم عن موقعه الخاص في عقيدتنا نحن الإمامية الاثنا عشرية خاصة، فإذا استعنت بحديث غيرنا أستعين به فيما يؤكد ويقوي نظرتنا نحن الإمامية، لا أني أتناول حديث غيرنا تناولا مباشرا فأحل العقد وأبين جهة الإشكال وأشرح جهة النقض وحل هذه المشكلة، هذه كلها أتجنبها في حديثي هذا.
وإن كنت قد ذكرت في كتابي الذي جمعت فيه أحاديث المهدي (عليه السلام) من طرق غير الإمامية كل ما يرجع إليه (عليه السلام)، وهذه الأحاديث لو قدر أن تطبع لكانت أكثر من أربعمائة أو خمسمائة صفحة بترتيب خاص، والبحوث التي تأتي بعدها قد تفوقه بصفحات وصفحات.

المهدي (عليه السلام) لا يمكن أن ينفصل عن الغيبة
أصل الدعوى التي علي أن أقيم الحجة على صحتها: أن المهدي
والمهدوية – لا يمكن في حكمة الله سبحانه وتعالى وعلمه بحاجة عباده وأنه
اللطيف الخبير يفعل ما يشاء ولكنه
لا يفعل إلا لحكمة، ويحكم بما يريد ولكنه
لا يحكم إلا بما كان فيه رأفة ورحمة لعباده والتزام بالعدل الذي ألزم الله به
نفسه – لا يمكن أن ينفصل عن الغيبة.
وهذه الحجة أذكرها إن شاء الله بصورة عدة مسالك، كل مسلك ينتهي
إلى أن المهدي سلام الله عليه قدر الله له أن يكون أحد الأئمة، فيستحيل أن لا
تكون له غيبة.
فالإمام العسكري سلام الله عليه ولد سنة مائتين واثنين وثلاثين من
الهجرة، وجاءته الإمامة سلام الله عليه بعد استشهاد أبيه الإمام الهادي علي
ابن محمد (عليهما السلام) سنة مائتين وأربع وخمسين من الهجرة، وفي أشهر الأقوال
عند
الإمامية استشهد في يوم الجمعة الثامن من شوال سنة مائتين وستين من
الهجرة.
فلو حذفنا الجهات الخاصة بالفكرة عن الإمام العسكري سلام الله عليه
عند الإمامية وقلنا: إن الإمام سلام الله عليه جاءته الإمامة في سنة ٢٥٤ ه بعد
موت أبيه موتا طبيعيا، وأنه جاءته الوفاة التي قدرها الله لكل أحد بصورة

طبيعية، ولم تكن هناك جريمة اشترك في إيجادها بالنسبة إلى الإمام العسكري أحد لا بصورة مباشرة ولا غير مباشرة، فكانت إمامته ست سنوات.
قد نقول: بأن الله سبحانه وتعالى وجد من الحكمة أن الإمامة للإمام العسكري كافية لمدة ست سنوات، فالله سبحانه وتعالى جعله إماما واستوفى حاجة الناس إلى إمامته ضمن ست سنوات، فست سنوات كافية في أننا نملك إماما وضعه الله إماما علينا، وبهذا نستفيد ما أراد الله سبحانه وتعالى من نصبه إماما في ضمن ست سنوات.
أما الإمام المهدي سلام الله عليه فلم يملك مدة الإمامة ولا يوما واحدا، لماذا؟ لأنه ما دام والده الإمام العسكري حي فالامامة خاصة بأبيه، وإن كان هناك إمامان لا بد وأن يكون أحدهما صامتا عندما يكون بقضاء الله سبحانه وتعالى غيره ناطقا بالإمامة، ويوم أن مات الإمام العسكري سلام الله عليه، غاب، فما هي الحاجة إلى إمامته؟
لا أقول ما هي الحاجة بأن نكون نحن نتدخل في حكمة الله سبحانه وتعالى بفضول لا يرتضيه الله، لا، نحن نستفهم من الله سبحانه وتعالى بأنه حينما قدر للمهدي سلام الله عليه أن تكون له إمامة آنذاك، قدرها لكي يستفيد الخلق من إمامته، وإلا فالله سبحانه وتعالى في غنى عن رسله وأنبيائه وعن أئمته وحججه، وإنما يرسل رسله وينصب حججه لكي يستفيد الخلق منهم، لا لحاجة من الله سبحانه وتعالى في الخلق ولا لهداية للخلق برسول يرسله إليهم أو بحجة ينصبه عليهم، وإنما الذي يحتاج هو الخلق والعباد، والله رأفة بعباد يؤمن لهم ما يحتاجون إليه في هدايتهم كما أمن لهم ما يحتاجون إليه في حياتهم.
أرجو أن تكونوا قد استوعبتم الدعوى، كي أقوم بسلوك الطرق المختلفة

لأثبت أن هذه الدعوى هي التي لا بد وأن تكون الصحيحة في المجال الاعتقادي عند الإمامية الاثني عشرية، الذين لهم تفسير خاص للإمامة لا يتجاوزونه، وعدد خاص للأئمة لا يتجاوزونهم، ليس لهم أن يحذفوا واحدا، ولا أن يضيفوا واحدا، ولا أن يؤخروا من قدمه الله سبحانه وتعالى، ولا أن يقدموا من أخره الله سبحانه وتعالى.

فالعقيدة الصحيحة لاستمرار حاجة الناس إلى النبوة وكون النبي مدة حياته لا تتناسب مع الأبدية لشريعته، لا بد لهذا النبي من أئمة يكونون مثله في العصمة في الأداء، والعصمة في الهداية، والعصمة في قيادة الخلق.

فعقيدة الإمام المهدي سلام الله عليه عند الإمامية لا يمكن أن تكون بلا غيبة، لماذا؟

لأنه في مقتبل عمره لم يتمكن ولا يوما واحدا من هداية الأمة حتى بالقدر الذي كان يتمكن منه آباؤه، ولم يتمكن لغيبته من اتصال الشيعة به قدر ما كان يتمكن آبائه حتى في أحلك الظروف وأشدها عليهم، فإذن لا بد وأن تكون إمامته المتصرفة في خلقه بعد تلك الفترة، أي بعد الغيبة، فلا بد لنا وأن نلتزم بأن الانتفاع بالإمام المهدي كإمام الذي يكون مشابها للانتفاع بآبائه الطاهرين كأئمة لا بد وأن يأتي في فترة أخرى بعد الغيبة.

هذه خلاصة الدعوى، وأنا إن شاء الله أبدأ بالطرق التي استخلصتها نتيجة بحثي وجمعي لمواد كثيرة من جهات شتى:

المسلك الأول
وعد الله بظهور دينه على الدين كله
إن الله سبحانه وتعالى وعد وعدا قاطعا صريحا بظهور دينه على الدين كله، لا يقصد بذلك دينه الذي بدأ به من أول من أرسله رسولا إلى خلقه وانتهى بمن أرسله رسولا وسيدا على المرسلين وخاتم النبيين، بل الدين الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعد الله سبحانه وعدا قاطعا بأن يظهره على الدين كله.
وهذا الوعد جاء ضمن آيات ثلاث، ومن غريب الأمر أن آيتين منها متماثلتان، ولا أقول متشابهتان، بل متماثلتان تماما من أول حرف من الآية إلى آخر حرف منها، وجاءتا في سورتين بينهما فاصل زمني وإن كانت السورتان كلتاهما مدنيتين.
الأولى: قوله تعالى في سورة التوبة (١):

---

(١) سورة التوبة من آخر ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم تنزل بعدها سورة سوى المائدة،
وهي آخر السور التي نزلت في عرفة فذي الحجة من السنة العاشرة من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) من
المدينة المنورة، وبعدها لم يعش إلا أقل من ثلاثة شهور، إن أقربنا وفاته بالثامن والعشرين من صفر، أم أبعدنا إلى الثاني عشر من ربيع الأول، ولكن في تلك السنة التي تلت الشهر الثاني عشر من السنة العاشرة وشهر ذي الحجة لم يعش بعدها.

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو المشركون) (١).
مفهوم الآية واضح، (هو الذي)، هذا كله تأكيد، (أرسل رسوله)، فلو قال سبحانه وتعالى: الله أرسل رسوله، كان أوجز، لكن هنا (هو الذي أرسل رسوله)، يعني أن الذي أرسل عليه لحكمته وعلمه وموقع رسوله هذا وموقع شريعته هذه التي جاء بها رسوله هذا، يقتضي أن يكون هو الذي يظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون.
وهنا نكتة أشير إليها، وهي قوله تعالى: (بالهدى ودين الحق)، فالله سبحانه وتعالى أرسل رسله السابقين على رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهدى ودين الحق،
فلماذا سبحانه وتعالى يصف دينه هذا ورسوله هذا أنه أرسله بالهدى ودين الحق؟ والموجز في الجواب أن الأديان السابقة لم تكن هادية هداية عامة لجميع الخلق بالقياس إلى الهداية التي جاء بها نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا لأنها ناقصة، بل لأنها تهدي الإنسانية في فترة قصيرة جدا من عمرها الطويل، فتلك لا تقاس بالنسبة إلى الهداية التي جاء بها نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك على ما يقولون: الفرد الأكمل الأبرز الأوضح للهدى الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهكذا دين الحق، لماذا؟ لأن هذا الدين دين شرعه الله سبحانه وتعالى للبشرية إلى آخر أيام حياتها على ظهر هذا الكوكب، كم تطول؟ لا نعلم، كم ألوف من السنن؟ لا نعلم، كم عصور تتوالى عليها، نعلم، ولكننا نعلم شيئا واحدا: أن البشرية إن كانت قد اكتملت واكتسبت ما فيه كمالها، سواء أكان هذا الكمال من

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.

ناحية مادية، أم كمالا من ناحية معنوية، فإنها لم تكتسبه إلا في عصور حياتها الأخيرة، لا حياتها البدائية، سواء أقلنا: إن الحياة البشرية البدائية بدأت برسول من الله سبحانه وتعالى كما تقوله الأديان السماوية، أو قلنا: إن الإنسان قد مر بأشواط وأشواط طويلة قد يؤرخونها بملايين السنين، وقد يؤرخون أسلاف الإنسانية، وأنا أستميحكم عذرا حينما أقول بأسلاف الإنسانية، سواءا أكانوا يشبهون مثلا القردة أو نفس القردة أنفسهم أو موجودات أخر، فقد مر على الإنسانية شوط طويل إن لخصناه بإمكاننا أن نقول كل ما امتد بها الزمن تكاملت عندها خصائصها الخاصة بها.

فكما يقولون – لا أقول: بأن هذا صحيح مائة بالمائة، ولكني أحكي ما يقولون – بأن الإنسانية بدأت على ظهر هذا الكواكب تعيش من حيث المأكل كما يعيش سائر الأحياء، فقد كانت تشترك مع القردة أو الدببة التي كانت تأتي إلى الساحل المائي، فكان الدب يستعين بمخالبه فيصيد سمكة ويأكل كما يقولون، وأن الإنسان البدائي كان يأخذ حجرا فيقف راصدا سمكة تمر عليه فيرميها بحجر ويصطادها.

والآن حينما نأتي إلى أواخر عصور الإنسانية حتى في التاريخ المجمل المبهم لها، نجد أن الإنسانية تستقبل الكمال ولا تستدبره.

فالتكامل يكون في مستقبل حياة الإنسانية، والدين الذي يكون لمستقبل حياة الإنسانية وحتى الشوط الأخير من هذه الحياة التي لا ندري متى يأتي ذلك الشوط الأخير ومتى يكون، (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام

ينظرون) (١).
فالدين الذي جاء لتلبية حاجة الإنسانية في أكمل صورها وأوفى استكمالها لكمالها الإنساني، ولا أدعي بأن هذا الكمال يكون في سنين عديدة ويقابله نقص في ملايين من السنين، إن هذا شئ أنا شخصيا أستبعده ولا أطلب الآن من غيري أن يؤمن به مائة بالمائة، ولكن من البعيد جدا أن الحكمة الإلهية تجعل من الشوط الكامل للإنسانية أقصر أشواطها مدة، وكيفية، وزمنا، ولا يأتي في ذهنكم أن الروايات التي تقول بأن الإمام المهدي سلام الله عليه إذا خرج يملك سبعا أو تسعا، لا أتكلم عن هذا، فهذه كلها إن وردت لا يقصد بها العدد الخاص من جهة، والجهة الثانية أن رجعة الأئمة هي التي تكمل هذا الشوط من حياة الإنسانية، وهو أعلى أشواطه كمالا وإنسانية وتلألؤا وامتلاءا بأحب الصفات الإلهية التي يريدها الله سبحانه وتعالى أن تتمثل في خلقه كالرحمة والمحبة و...، ولا أقصد تلك الصفات التي يذكرها العارفون بالمعنى المصطلح للعرفان، الذي يرجع إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على هيأته وأن الله خلق آدم على صورته، لا أقصد هذا.
وإنما أقول: إن من البعيد جدا أن تكون الإنسانية لا تكتمل إلا في آخر لحظات حياتها، وإذا أردت أن أشبه فكرتي هذه فأقول: بأن الله سبحانه وتعالى إن وعد فردا معينا منا بأني سوف استوفي لك كل حاجة تحتاجها في حياتك الدنيا هذه، وفي هذا الكوكب، وفي هذه الحياة التي تسبق الموت، أستوفي لك كل حاجاتك وأؤمن وألبي كل رغباتك، ولكن في ساعة

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

واحدة قبل موتك، أنا واثق بأن أي واحد منا لو أن الله سبحانه وتعالى خيره بين هذه وبين أن يعيش عيشة متواضعة لا أمل فيها ولا ألم، لاختار هذه العيشة المتواضعة دون أن يختار حياة مليئة بالآلام تزول آلامها في آخر ساعة من حياته هذه، وأما أنها تعوض في الحياة الأخرى، فذاك حديث آخر.

الإنسانية أيضا هكذا، من غير المعقول لحكمة الله سبحانه وتعالى أن يقدر لخلقه برحمته أن يخلقهم، وبرأفته أن يهديهم، وبحكمته وعلمه أن يفتح أمامهم مسلكا يبلغون بسلوكه ما يريد الله سبحانه وتعالى منهم حينما خلقهم أن يجعل هذا في أقصر فترات حياتهم.

فأنا واثق من أن الحياة الكريمة التي تأتينا في دولة كريمة يعز بها الإسلام وأهله ويضمحل فيها النفاق وأهله، لا أنه يخذل، بل يضمحل فيها النفاق وأهله، وأن نكون سعداء كما أراد الله سبحانه وتعالى، أن يكون دور الإنسانية هذا، هي أقصر أدوار حياته على ظهر هذا الكوكب.

إذن فما وعد الله سبحانه وتعالى وعدا قاطعا وهو أن يظهر دينه على الدين كله، لا بد وأن يكون على يد مهدي هذه الأمة، لماذا؟ لأن عدد الأئمة عندنا عدد معين، اثنا عشر إماما، استوفى أحد عشر منهم مدته.

ومع أسف الإنسانية وبؤسها وشقائها ومحنتها بل من أعظم محنها أن هذه المدة لم تستوف كما أراد الله، يعني بإرادة من الله سبحانه وتعالى أن تكون مدة حياتهم الطبيعية وهم بين أظهر أمتهم يهدونهم، فأمير المؤمنين (عليه السلام) لا نعلم بأن أشقى الآخرين لو لم يضربه على هامته كم كان يعيش؟ وأن الإمام الحسن سلام الله عليه الذي لم تدم إمامته إلا عشر سنين أو أقل لو لم يسم كم كان

يعيش؟ وأن سيد الشهداء سلام الله عليه لو لم يكن يقتل تلك القتلة الفجيعة (١) كم كان يعيش؟ هؤلاء لو لم يواجهوا من طاغية زمانهم بما جاء عليهم كم كانوا يعيشون؟ ولكن مع هذا لا يصح لنا أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى أظهر دينه على الدين كله، فالوعد الإلهي لم يأت بعد.

ولو قلنا بأن الوعد الإلهي يكون على أيدي الهداة الإلهيين، لماذا؟ لأن الإنسانية جربت أحسن من يقودها إن لم يكن ممن أخذ الله العهد على نفسه بأن يرقبه بحيث لا يحيد (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) (٢)، فالذين رحمهم الله سبحانه وتعالى لا يتجاوزون عما يريده الله سبحانه وتعالى منهم، فالوعد الإلهي للإنسانية إن لم يكن من شخص يجري الوعد على يديه كفوءا صحيحا، تقع الإنسانية في مآسي ويقع الوعد في مجافيات وفي تناقضات، بحيث أن الوعد يفقد حكمته بل يفقد مصداقيته.

فلا يكون الوعد إلا على يد معصوم، يكون الله سبحانه وتعالى مراقبا له، بحيث أن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجري الوعد بنفسه لا يختلف عما يجريه وليه.

فالآية الكريمة يكفي ورودها مرة واحدة، مع أنها جاءت بهذا المضمون في ضمن ثلاث آيات كريمة:

---

(١) التي لم ترد في أي أمة من الأمم بالنسبة إلى أقل من يمثل حقوقا إيجابية في تلك الأمة، فمن يملك أبسط الحقوق لأي فرد كان من أي أمة لم يواجه بجريمة كما واجهها سيد الشهداء وأصحابه سادة الشهداء من الأولين والآخرين.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

الأولى: قوله في سورة البراءة أو التوبة: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (١).
ونفس هذه الآية بما بدأت به وبما انتهت به حتى من حيث الحرف، لا الكلمة وحدها، جاءت في سورة الصف: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢).
فالله سبحانه وتعالى – من باب التندر أقول – ليس كبعض شعرائنا الذي ينظم القصيدة فيجدها قصرت عما يريدها من عدد الأبيات فيأتي بأبيات قالها سابقا في قصيدة أخرى يضمنها، يضمن قصيدته هذه تلك الأبيات حتى تطول، وهذا كثيرا ما يكون، ولا يؤاخذه مؤاخذ بما فعل، لأنه قول قاله، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعيد الآية كي تطول السورة، يجل عن ذلك، يعيد الآية كي يؤكد لنا بأن هذا وعد قاطع صريح لا خلف له، ولن يخلف الله وعده.
وبالإضافة إلى ذلك نفس المعنى يرد في آية كريمة أخرى، تختلف من حيث الانتهاء، وهي قوله تعالى في سورة الفتح: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) (٣).
هذا المقطع: (وكفى بالله شهيدا) حسب فهمنا أقوى بالدلالة على قوله تعالى حينما ختم به آيتيه الكريمتين: (ولو كره المشركون)، ف: (وكفى بالله شهيدا) معناه: أن الله سبحانه وتعالى الذي وعد هو الذي يشهد، لا أنه وعد

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.
(٢) سورة الصف: ٩.
(٣) سورة الفتح: ٢٨.

وغاب أو مات، وكان الوعد وصية منه ينجزها غيره، فيكون ذلك الذي ينجز من الممكن أن أو يغفل أو ينسى أو يجهل،
(وكفى بالله شهيدا) الله سبحانه وتعالى الذي يشهد الخلق، فإن وعد وعدا فهو الذي يجعل وعده لا خلف فيه.
فهذا الوعد القاطع الذي لا يصح لمسلم أن لا يؤمن به ولا يصح لغير مسلم أن يغفله في تأريخ الفكر الإسلامي، يعني غير المسلم قد لا يؤمن بالقرآن الكريم ككتاب منزل من قبل الله سبحانه وتعالى، بل قد لا يؤمن بأن لهذا الكون خالقا، أو يشرك الله بغيره من أنداد يجعلها لله سبحانه وتعالى، ولكنه حينما يقرأ القرآن الكريم يجد هذا الوعد وعدا قاطعا صريحا لا لبس فيه ولا إبهام فيه.
فإذن هذا الوعد وعد يؤمن به كل مسلم ووعد يأخذ به كل من يؤرخ الدين الإسلامي، ولا يتحقق هذا الوعد إلا إذا قلنا بأن أئمة الهدى سوف يتحقق بهم في شوطهم الأخير أكمل أشواط الإنسانية في تأريخها الطويل، وخاتمهم وهو مهديهم سلام الله عليهم أجمعين سوف يكون هو الذي يحقق الله سبحانه وتعالى على يديه هذا الوعد الذي وعد به وعدا صريحا أكده في ثلاث آيات كريمة.
وأيضا قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) (١).
(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي غلبة؟ غلبة مادية؟ الله سبحانه وتعالى لم يعد رسله ولا خلقه بأنه هو ورسله يغلبون غلبة مادية كما يعبر في هذا

---

(١) سورة المجادلة: ٢١.

العصر غلبة فيزيائية، فالله سبحانه وتعالى يقول: (أفكلما جاءكم رسول) يخاطب اليهود (بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١)، أمن الصحيح لكم هذا الخلق الذي سرتم عليه أيها اليهود بأنكم تحبون أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤمن رغباتكم، لا أنه هو الذي يهيمن عليكم، (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) يؤكدها في آية أخرى: (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) (٢)، (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) (٣)، آيات كثيرة تؤكد أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا، كذبوا، كذب بعض وكذب آخرون وقتلوا، لا أن اليهود كانوا يقتلون الذين يصفونهم بالصدق من الأنبياء الصادقين الذين يؤمنون بصدقهم، والذين يبقون على حياتهم كانوا يكذبونهم.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لليهود بأنكم إن جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أنتم تجدون أنفسكم أكبر من الله سبحانه وتعالى، فإنكم ترون أن أنفسكم هي التي تفرض على الله سبحانه وتعالى أن يلبي رغباتكم كما تشتهون، لا أن الله سبحانه وتعالى يكون هو المهيمن عليكم كما يحب ويحكم به عدله وحكمته، ففريقا اكتفيتم بتكذيبهم لأنكم لم تتمكنوا من قتلهم أو لعوامل أخرى، وفريقا آخرين كذبتم وقتلتم.

---

(١) سورة البقرة: ٨٧.
(٢) سورة المائدة: ٧٠.
(٣) سورة البقرة: ٩١.

الله سبحانه وتعالى لم يعد رسله ولا خلقه المؤمن منهم والكافر، لم يعدهم بأنه يحمي رسله جسديا بحيث لا تنالهم اليد الآثمة بأذى أو بقتل وهو أشد أنواع الأذى.

إذن، فالله سبحانه وتعالى كتب (لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)، يعني أن الله إذا يعد لا يخلف، لأن الخلف إما أن يكون لضعف والله سبحانه وتعالى قوي لا ضعف له، أو لأن هناك من هو أقوى منه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فهذا الوعد متى يأتي؟ لا بد وأن يكون هذا الوعد هو الذي يأتي على يد مهدي هذه الأمة في آخر حياة الإنسانية، وهو أكمل أشواط حياتها بصورة قطعية، وتملك هذه الحياة من الزمن والمدة ما تقر بها عين الإنسانية، وإلا لكانت الإنسانية لا تكون إلا كمن يأتي الله سبحانه وتعالى بأمنيته بعد ما عاش مائة سنة في آخر لحظة من لحظات حياته هذه الأمنية سوف تكون عليه حسرة ولا تكون ممن يستمتع بها.

وأيضا قوله تعالى: (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم.... ونريد أن نمن على الذين استضعفوا) (١).

(نريد أن نمن) معنى ذلك أن هذه سيرة الله، لا تختص بموسى وفرعون لأن الله سبحانه وتعالى يأتي ب (نريد أن نمن) لا: أردنا أن نمن، كما قال عز من

---

(١) سورة القصص ٣ - ٥

قائل: (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) (١)، أما هنا يقول: (ونريد أن نمن)، يعني: أن الله سبحانه وتعالى جرت سنته أن الذين واجهوا طواغيت البشرية، لا طواغيت الأمة فحسب، والطواغيت غلبوهم على أمرهم، فالله سبحانه وتعالى جرت إرادته التي لا خلف فيها والتي لا يمنع منها مانع أن يأتي دور يغلب هؤلاء على طواغيت زمانهم (ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) إلى آخر الآيات الكريمة.

إذن، المسلك الأول الوعد الإلهي في القرآن الكريم، هذا الوعد الإلهي إما أن نقول: بأن الله سبحانه وتعالى حينما وعد به أراد أن يقوي قلوبنا وأن يملأ نفوسنا أملا وأن يرينا في أسوء التعابير سرابا يتخيله الضمآن ماءا، فالله سبحانه وتعالى أجل من هذا، حينما وعد، وعد وعدا قاطعا وهو أصدق القائلين ولن يخلف الله وعده وهو أصدق من قال.

فالمسلك الأول أن وعد الله سبحانه في قرآنه الكريم، هذا الوعد الذي جاء ضمن وعود مختلفة في صيغها، متفقة في معناها، (ليظهره على الدين كله) (٢)، (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) (٣)، (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٤).

هذا الوعد جاء في صيغ مختلفة تختلف في التعبير وتتفق في المغزى

---

(١) يوسف: ٢١.
(٢) سورة التوبة: ٣٣.
(٣) سورة المجادلة: ٢١.
(٤) سورة القصص: ٥.

والهدف، هذا الوعد لا يمكن أن يتحقق إلا على يد آخر حجج الله، وهذا الآخر الذي ولد قبل ألف وحدود المائة أو يقرب من المائتين، هذا الوعد لا بد أن يتحقق على يد هذا، لأنه آخر الحجج، ولن يرسل الله رسولا، لأن نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)
خاتم النبيين، ولن يأتي بإمام يعيش عيشته الأولى في هذه الأرض، لا العيشة بعد الرجعة لمن آمن بالرجعة، يعيش عيشته الأولى في هذه الأرض لن يأتي به، لماذا؟ لأن عدد الأئمة عنده اثنا عشر إمام، ومهدي هذه الأمة آخر الأئمة، فهذا الوعد لا يمكن أن يكون وعدا صادقا، وهو مما نقطع بصدقه، إلا أن يكون لمهدي هذه الأمة غيبة تفصل بين مولده وبين ظهوره وإنجاز وعد الله سبحانه وتعالى على يده، سواء في ذلك طالت الغيبة أم قصرت، كوعد الله سبحانه وتعالى: (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) (٢)، أما بعد مضي كم فترة؟ قد تكون مليون سنة، نحن لا ندري الفاصل بين أول نسل للإنسانية وبين آخر عصور الإنسانية وبين حشرها بعد موتها وهو حشر تحشر فيه الإنسانية كلها، كم مدة من الزمن؟ ألف سنة؟ مائة ألف سنة؟ مليون سنة؟ لا ندري، ولكن وعد الله صادق (لن يخلف الله وعده).
إذن فغيبة مهدي هذه الأمة غيبة لا بد منها، لأنه مهدي هذه الأمة، ولأن وعد الله سبحانه وتعالى صادق صريح قاطع، الذي أكده في آيات كريمة مختلفة وبألفاظ وتعابير مختلفة قد تختلف باللفظ وتتفق في المغزى، هذا الوعد لن يكون وعدا منجزا إلا إذا كان لمهدي هذه الأمة غيبة تفصل بين ولادته وبين ظهوره بما وعد الله سبحانه وتعالى به.

---

(١) سورة يس: ٧٨ - ٧٩.

المسلك الثاني
الأئمة اثنا عشر
هذا المسلك أيضا خاص بالإمامية الاثني عشرية، يعني من لا يقول بالإمامة الإلهية لا أقول إن هذا المسلك يلزمه، ومن يقول بأن الأئمة لا يحصرون في عدد معين (١).
أيضا هؤلاء أنا لا ألزمهم بهذا، وأنا لا أتكلم مع الذين قالوا بالإمامة وأن الإمامة منصب إلهي على الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه بأن يكون هو الذي يعين الإمام (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) لكن الله سبحانه وتعالى لم يلزم نفسه بعدد معين كعدد الاثني عشر (٢)، وأيضا أنا لا

---

(١) كما ينسب إلى بعض إخواننا الزيدية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر على لسان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)
بإمامة ثلاثة، أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام)، وباقي الأئمة أخبرهم بالوصل
ولا يحصرون في عدد، بل من كان فاطميا وقام بالسيف ودعا إلى الجهاد وإحياء دين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو إمام علينا أن نبايعه وأن نطيعه.
(٢) كما يقال مثلا: إن الإسماعيلية يشتركون معنا في أئمة ستة، ولهذا قد يعبر عنهم بأنهم الذين يلتزمون بإمامة الستة، وهذا خطأ، لأنهم يلتزمون بإمامة عدد طويل جدا، ستة من أئمتهم هم نفس أئمتنا الاثني عشرية، لا أنهم يلتزمون بإمامة الستة مع قطع النظر عن فرقهم بين البهرة الداودية والنزارية أتباع جماعة آغا خان، أولئك - يقولون بأن الإمام مستور وأن الداعية داعية مطلق لإمام غائب لا يتصل به إلا الداعية نفسه، وأن الاغا خانية وهم الإسماعيلية النزارية أي الإسماعيلية الشرقية، هؤلاء يقولون: بأن هؤلاء الذين نراهم ولو كانوا في حجم آغا خان - الذي مات - جد كريم خان، ولو كان في حجم آغا خان في شحمه ولحمه وإلى آخر وثقته في ميزان العيارات المادية، كلهم أئمة.

أتكلم مع الذين قالوا الإمام السابع سلام الله عليه غاب ولم يمت بالسم في سجنه.
وإنما أتكلم مع الذين يقولون بأن الأئمة اثنا عشر لا يزيدونهم واحدا ولا ينقصونهم، وهم نحن أعني من آمن، ومن أقر على نفسه والتزم بأنه إمامي اثنا عشري.
وهذا لا يمكنه إلا أن يقر بغيبة الثاني عشر وظهوره بعد غيبته، والأبواق التي تنعق بما لا تعقل - وإن كان هذا التعبير فيه لذعة، ولكني مع الأسف الشديد قد أجد نفسي ملجأ إلى أن أقول قولا لاذعا، لأن الذين يعارضون، لا يعارضون بما تسنه الإنسانية من أصول وقواعد للمعارضات الفكرية،
ينعقون كالذي ينعق بما لا يسمع كما يقول القرآن الكريم - فهم يأتون بأقوال قالتها فرق أخرى غير الشيعة وبأقوال قالها غير الاثني عشرية من الشيعة، فيردون بها على الشيعة ويجعلونها مأخذا عليهم ومطعنا فيهم، هذا أقل ما يقال فيه أنه ليس من الإنصاف ولا من العقل في البحث ولا من حسن النية في النقاش الفكري، فمن يلتزم بأنه إمامي اثنا عشري لا يسعه إلا أن يؤمن بأن

هذا العدد قد اكتمل، لأن الأئمة متناسلون إمام من إمام، وأن الثاني عشر هو الذي يكون إدامة بحياته للإمامة الإلهية ومنجزا ما وعد الله به خلقه ونبيه، وعن طريق نبيه وعدنا نحن أمته – ونفتخر بذلك – وعدا قاطعا بأن يظهر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يحقق الحكم الإلهي العادل الذي لا يميل والرحيم الرؤوف الذي لا يتجاوز الرأفة والرحمة على الخلق.

فحصر عدد الأئمة بالاثني عشر حصر يلزمه لزوما قطعيا واضحا صريحا أن يكون الثاني عشر له ظهور، وأن هذا الظهور قطعا يكون بعد الغيبة، لأنه لم يكن له ظهور قبل الغيبة.

المسلك الثالث
أحاديث الثقلين
كلكم سمعتم بها، وهذه الأحاديث أيضا متواترة.
ولا أتكلم عن قول القائل الذي قال بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " إني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي " (١)، إن صح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال وسنتي فهو
أراد أن يلقم من قال: حسبنا كتاب الله (٢) حجرا لا يقول به بعده، ولكن مع ذلك قال ما قال ومنع الأمة من كتاب نبيها الذي يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أصدق قائل
بعد الله سبحانه وتعالى: " لن تضلوا بعده أبدا " وإلا إيماننا بالإمامة والأئمة
واتباعنا للأئمة واهتداؤنا بهديهم
واقتداؤنا بسنتهم من العمل بسنته (صلى الله عليه وآله وسلم)
وكتاب ربه، قال عز من قائل: (إنما وليكم الله) (٣)، آمنا وصدقنا وإن شاء الله
نحن ممن يتولى الله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٤)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث أحرف بين أن يكون ثاني الثقلين أهل بيته
.

---

(١) المستدرك للحاكم ١: ٩٣.
(٢) صحيح البخاري ٦: ٣١٨ ح ٨٧٢ مرض النبي، وأيضا ١: ١٢٠ ح ١١٢ باب كتابة العلم.
(٣) سورة المائدة: ٥٥.
(٤) سورة المائدة: ٥٦.

سلام الله عليهم أجمعين، أو تكون سنته، نعم لو ورد سنته، فهو لكي يلقم من قال: حسبنا كتاب الله، حجرا لا يقوله، ولكن مع الأسف الشديد قالها في أسوء الظروف وأنكاها: حسبنا كتاب الله.

فحديث الثقلين يقول: " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ".

هذه جملة ما معناها؟

الذي انطبعت عليه نفوسنا أننا نقول بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي كل

فرد من أفراد أمته بأن من أخذ بالكتاب العزيز عليه أن يأخذ بعدل الكتاب العزيز وهو الأئمة الذين ذكرهم وعينهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالأمة اختلفت،

وقد يقول قائل بأن البعض أخذ بالعترة وترك الكتاب والبعض الآخر أخذ بالكتاب وترك العترة، لكن رسول الله لا يقول هذا، لا يقول لا تفرقوا بينهما فتأخذوا بأحدهما وتتركوا الآخر، " لن يفترقا " يعني القرآن مع العترة والعترة مع القرآن، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض، لا أنه لا تفرقوا بينهما حتى يرد على أحدكم الموت، يعني: لا تفرقوا بينهما حتى يأتيكم الموت، يقول: " لن يفترقا "، معنى ذلك: أن من أخذ بالكتاب أخذا كما يريده الله لا يمكن أن لا يأخذ بأهل البيت، ومن أخذ بأهل البيت (عليهم السلام) كما

أرادوه له أخذ بالكتاب كما

أراد الله سبحانه وتعالى.

فالقضية ليست قضية اختيار منا حتى يكون الأمر الإلهي بأن نجمع بين العدلين، لا أن نأخذ بواحدة سواء أكان الكتاب العزيز أم العترة الطاهرة، وأن نترك الآخر سواء أكان الكتاب العزيز أم العترة الطاهرة لا، أنهما لن يفترقا،

وذلك كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا علي

الحوض " (١)، يعني أن عليا سلام الله عليه لا يمكن أن يكون في جانب ويكون الحق في الجانب الآخر، فإن رأيتم عليا يسير سيرا خاصا فاعلموا أن الحق يسير معه.

إذن فحديث الثقلين لا مورد له إلا أن يكون للأخذ بالقرآن من قبل الأمة المسلمة ولو كانت بعد ألف وأربعمائة وعشرين سنة من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وألف وأربعمائة وعشر سنين من رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالآن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

بالنسبة لنا كلنا نحن الإخوة المجتمعون هنا يوصينا: " إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما " (٢).

فنحن أيضا القرآن الكريم ماثل أمامنا لا في طبعته الحاضرة، وإنما بصورته الأصلية التي تمثلها طبعات القرآن الكريم إن شاء الله كاملة غير منقوصة ولا مزادة، فأين العترة التي نأخذهم؟ الذين ماتوا؟ فهم (عليهم السلام) قد انتهت أيام إمامتهم، فلا بد وأن يكون للثقل الآخر وجود حي كوجود القرآن الكريم، فعلينا نحن الأمة المسلمة أن نأخذ به كما نأخذ بالقرآن الكريم.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، المستدرك للحاكم ٣: ١١٩.

(٢) انظر: صحيح الترمذي ٥: ٦٦٣ ح ٣٧٨٨، مسند أحمد ٣: ١٧ ح ١٠٧٤٧، نوادر الأصول ١: ٢٥٨.

المسلك الرابع
فيما يرويه غير الإمامية
وهنا أستعين بما يرويه إخواننا غير الإمامية.
قلت بأن أحاديث المهدي كما هي متواترة عند الإمامية متواترة عند غيرهم، بحيث أنهم يرون أن الإيمان بالمهدي وظهوره إيمان بما أخبر الله به خبرا قاطعا صريحا جاءت به الرواية أو السنة المتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
ولا أجدني بحاجة إلى أن أحكي نصوصهم بتواتر الحديث وأن من أنكره فقد أنكر أمرا ثبت ثبوتا قاطعا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه أخبر به، وإنما أحكي
نصوصا مختارة من نصوصهم، هذه النصوص تدل على أن المهدي سلام الله عليه خليفة من نوع آخر، لا من نوع خلفائهم الذين التزموا بصحة خلافتهم وصحة إمامتهم وأنهم خلفاء هدى وسموهم الخلفاء الراشدين واختصوا بثلاثة منهم تقدموا على مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.
أنا أحكي النصوص ثم آتي بالجهة التي أريد أن أستدل بها، طبعا المجموعة طويلة، وأنا حذفت الأسانيد وحذفت المصادر المتكثرة واكتفيت بمصدر واحد أو مصدرين:
عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:
" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو

من أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا " (١).
أيضا بمثله: عن عبد الله بن مسعود بلفظ يقرب من هذا، وعن علي بن أبي طالب، وعن حذيفة بن اليمان، وعن قرة بن أياس المزني، وعن عبد الرحمن بن عوف.
كل هؤلاء اتفقوا في بعض ما ورد من لفظ الحديث عندهم، وبعضهم اكتفى بذلك اللفظ وحده، نعم عبد الله بن مسعود جاء الحديث عنه بألفاظ مختلفة وفيها نوع من التناقض أو المجافاة أو عدم الملائمة بين ألفاظها، وهذا أيضا أتركه إلى مجال آخر.
المهم هذه الكلمة: " حتى يبعث الله "، معنى ذلك: أن قيام المهدي سلام الله عليه وظهوره بإرادة مباشرة من الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يخبر عن رسالة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يقول؟ (هو الذي بعث في الأميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٢) إلى آخر الآيات الكريمة، فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا يأتي بكلمة: " يبعث " كما قال الله
سبحانه وتعالى عن رسالته ونفسه (هو الذي بعث)، وكلمة بعث جاءت للتعبير عن إرسال الرسول في آي كثيرة من آي الذكر الحكيم، لا للدلالة على أن المهدي سلام الله عليه رسول بعد رسول الله، بل للدلالة على أن العمل عمل مباشر قام به الله سبحانه وتعالى.
وقد يقول قائل: بأن حق الاختيار للأمة يشمل حق اختيار خليفة

---

(١) سنن أبي داود: ٤ / ١٠٦ - ١٠٧ ح ٤٢٨٢.
(٢) الجمعة: ٢.

عليها، ويقول أيضا: بأن هذا الخليفة وإن كان قد احتل منصب الزعامة عليهم باختيار منهم وأساس الاختيار بيعتهم له ورضاهم بأن يكون هو الذي يتأمر عليهم، ولكن حيث أن الله سبحانه وتعالى - هنا أحكي أقوالا ولا أناقشها - قد رضي بهذه الخيرة ورضي بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنكون قد نسبنا منصب من
اخترناه إلى أنه خلف نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
أما هنا، فالله سبحانه وتعالى إن أسندنا إليه الرضا، فيكون الخليفة
خليفة من قبل الله بصورة غير مباشرة، حيث أن الله سبحانه وتعالى لم يرشدنا إلى أحد ولم يأمرنا أن ندين لأحد ولم يأمرنا بالبيعة اللازمة لمن له منصب إلهي، علينا أن نلتزم بالإيمان بمنصبه والإيمان بما يأتيه (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن) (١) إلى آخر الآية الكريمة.
فالبيعة في القرآن الكريم جاءت كتأكيد من قبل المؤمن بإيمانه لا اختيار حر يقوم به في عالم المنافسات السياسية.
ولأجل هذا حينما يريد أن يعبر عن إرسال رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (هو
الذي بعث في الأميين رسولا منهم) (١)، هنا أيضا يقول: " حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي "، يعني إماما قدر الله سبحانه وتعالى له الإمامة، مباشرة وأن الله سبحانه وتعالى قد غيبه عن خلقه بأمر منه مباشر، وأنه يريد له الغيبة بحكمته كما يريد، طال الزمن أو قصر، عاشت الأمة في أمل أو خف

---

(١) سورة الممتحنة: ١٢.
(٢) سورة الجمعة ٢.

عندها الأمل، ولكن هذا الوعد، وعد قاطع بأنه لا بد وأن يكون هذا المغيب الذي غيبه الله سبحانه وتعالى بأمر منه أن يكون هو الذي يأمر بظهوره حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

فإذن إمامة المهدي إمامة إلهية، لأن كلمة يبعث تدل عليها، وظهور المهدي ظهور إلهي، لا ظهور إلهي بالمعنى العرفاني، يعني ظهورا بأمر خاص من الله سبحانه وتعالى، كما يعبر عنه الحديث الذي يروى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه: " المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة " (٢)، معنى " يصلحه الله في ليلة " يعني حوائجه – وليس معناه: أن الله سبحانه وتعالى يهئ له عرش السفر في ليلة واحدة ويأخذ له تذاكر السفر!! – أي بعد أن يكون عليه الصلاة والسلام لا يأمل بقرب ظهوره

وانتهاء أمد غيبته في ليلة يأمر الله سبحانه

وتعالى له فيظهر في صبيحتها، هذا معنى يصلح الله أمره في ليلة.

إذن فالمهدي هذا إمام إلهي لا إمام اخترناه فرضي الله لنا ما اخترنا بخيرتنا نحن، وغيبته غيبة إلهية وظهوره ظهور إلهي، ومثل هذا الإمام لا يكون إلا من جنس أئمتنا نحن الإمامية.

وهنا كلمة فسرها إخواننا حيث يقولون في عدد الأئمة " الأئمة بعدي اثنا عشر "، يقولون: إن الذين يخلفون على الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم عدول

لا يجورون ولا يظلمون اثنا عشر، ويجمعون الخلفاء الراشدين، ومعاوية هم يجرجرون به إلى الخلافة لا إلى النار وبعد ذلك يحتارون من؟ قد يصلون إلى السفاح والمنصور وكذا وكذا، هؤلاء لا تربطهم رابطة سوى أنهم انتزعوا من

.

---

(٢) مسند أحمد ١: ٨٤ ح ٦٤٦، كنز العمال ١٤: ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٤.

ضمن قائمة الخلافة الراشدة وغير الراشدة عندهم، انتزعوا انتزعا لهوى في نفوس المنتزعين، لا لميزة في الأشخاص الذين انتزعوا وفصلوا عمن سبقهم وهو الذي عينهم وعمن جاء بعدهم، وهو الذي عينوه هم وحكموه على رقاب الأمة. عمر بن عبد العزيز اختاره الخليفة الذي قبله هو راشد والذي اختاره غير راشد، عمر بن عبد العزيز استخلف فلانا، ذلك المستخلف من قبل عمر بن عبد العزيز غير راشد، ولكن عمر بن عبد العزيز نفسه راشد، فإن كان راشدا فمن استخلفه كان أيضا راشدا في استخدامه، والذي استخلفه هو على الأمة ومكنه من رقاب الأمة أيضا خليفة راشد وإن كان غير راشد، فالحكم لكم أنتم.

معنى ذلك: أن أحاديث المهدي عندهم فيها نص، هذا النص يؤكد بصورة قاطعة أن المهدي (عليه السلام) ليس من جنس الخلفاء الذين استخلفوا على هذه الأمة بعد وفاة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما هو إمام إلهي.

وهذا لا ينسجم إلا مع رأي الإمامية في الإمامة، ومعنى ذلك أن أحاديث المهدي عندهم تشير إلى أن إمامة المهدي سلام الله عليه إمامة إلهية وإن لم يقولوا بها في أحد غيره ممن جاؤوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كخلفاء على الأمة،

حتى في حق أمير المؤمنين سلام الله عليه، وهو الخليفة الإلهي عندنا نحن الإمامية.

إذن فإمامة المهدي إمامة إلهية، هذه الإمامة الإلهية لا تتم إلا في ضمن سلسلة منتظمة انتظاما إلهيا، على النحو الذي نقول به نحن الإمامية.

فأحاديث المهدي سلام الله عليه عند إخواننا فيها ما يدل دلالة قاطعة على النظرة التي تنظر بها الإمامية إلى المهدي سلام الله عليه.

ويؤكده حديث يروونه هم عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قال: " قلت:
يا رسول الله المهدي منا أئمة الهدى أم من غيرنا؟ " فإذن أمير المؤمنين سلام الله عليه يفرض مسبقا أن هناك أئمة هم أئمة هدى وهدايتهم لا بالانتخاب، لأنه يسألها في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه وبعد لم يمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يكون
هناك انتخاب للخليفة ويكون الخليفة منتخبا انتخابا شرعيا فاز في المنافسة السياسية التي كانت حرة قائمة لم يزيف فيها رأي ولم يفتعل فيها رأي، ففي حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسأل أمير المؤمنين سلام الله عليه يقول: " قلت: يا رسول الله
المهدي منا أئمة الهدى أم من غيرنا؟ قال: بل منا، بنا يختم الدين كما بنا فتح " (١)
إلى هنا والحديث بعد طويل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) كتاب الفتن لنعيم بن حماد ١ / ٣٧٠ ح ١٠٨٩، وانظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢ / ٦١.